سلسلة منازل الدار الآخرة

الموت

كيف نفهمه ونعمل له

بقلم: د/ محمد عبد العظيم

مراجعة وتحقيق / قسم التحقيق

دار الصحابة للتراث بطنطا

للنشر والتوزيع . والتحقيق

شارع المديرية تليفون ٣٣١٥٨٧ - ص . ب ٤٧٧

لدار الصحابة للتراث بطنطا

للنشر - والتحقيق - والتوزيع

المراسلات:

طنطا ش المديرية - أمام محطة بنزين التعاون

ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب: ٤٧٧

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وبعد.

فهذه - بعون الله - باكورة سلسلة منازل الدار الآخرة ،هى حديث عن الموت ، ومحاولة لفهمه والوقوف عنده .

وسيليها إن شاء الله تعالى تتمة لهذه السلسلة من حديث عن الغسل - الكفن - الجنائز ثم القبر روضة أو حفرة ، وما ورد فى أمره وأمر القبر أعظم من أن يتحدث

فيـه ، ثم الحـديث عن البعـث والنشـور ، والميـزان ، والحـشـر، والصـراط ، والحـسـاب ، والجنـة والنار ، والشـفاعـة ، والحوض وغيـر ذلك مما أذن الله تعالى بمعرفته ومنّ به على عباده علمًا ومعرفة وتعليمًا ﴿وعلّم آدمَ الأسماءَ كلّها﴾ ونأمل أن تنال هذه السلسلة القبول عند الله عز وجل ، والمعرفة لدى جمهور القراء الأعزاء.

يسر الله لنا سبيل الجهاد بالبيان وقد عز الجهاد بالسنان وجزى الله القائمين على أمر دار الصحابة خيرًا إنه نعم المسئول وهو المستعان.

(د/ محمد عبد العظيم عطية)

الموت

هل هو نهاية الأحياء ، وما بعده فناء أو ظلام؟(١)

أتعيش الكائنات ثم تموت ، ولا شيء بعد ذلك؟

هل هذا أمر معقول؟

هل تلك هي النهاية التي تتفق مع الغرض من خلق الإنسان؟

الواقع أنه تختلف نظرة الناس إلى الموت حسب معتقداتهم فالذين لا يعترفون بالدين منهجًا للحياة ، ورسالة إلهية لا يعترفون بحياة الإنسان بعد الموت.. وهؤلاء يسمون (الدهريون)(٢)

---

(١) يقول أهل الحضارة الغربية وهم كافرون بالإسلام ، وأهل الحضارة الروسية وهم كافرون بالله إن نهاية الانسان الموت – الفناء ظلام).

(٢) الدهريون : هم الذين يقولون إن الدهر – الزمن – هو الذى يهلكنا وبعدها يكون فناء تام.

ونعى عليهم القرآن موقفهم فقال ربنا:

﴿وقالُوا: إنْ هىَ إلا حياتنَا الدنياَ نموُت ونحياَ ومَاَ يهلكنا إلاَّ الدهر﴾(سورة الدخان: الآية: ٢٤)

ورد القرآن ذلك إلى جهلهم بما وراء الموت، ورد جهلهم إلى عدم التزامهم بدين يخبرهم بما بعد الموت

﴿ إن يتبعون إلاَّ الظن﴾ (سورة النجم الآية :٢٨)

﴿زعمَ الذينَ كفرُوا أنْ لنْ يبعثُوا قُل بلَى وربِّى لتبعثن ثم لتنبؤنَّ بمَا عملتمْ وذلكَ علَى الله يسير﴾(سورة التغابن: الآية: ٧)

والذين أسلموا وجههم لله، واعتنقوا الإسلام ديناً، وجدوا فى الإسلام ردوداً على كافة الأسئلة التى تحير العقل وأهمها..

لماذا خلقنا؟

وماذا بعد الموت إذا لم يكن الموت نهاية الإنسان ، ولماذا خلقنا؟

فلغاية عظمى وهدف أسمى وهى عبادة الله بالكيفية التى شرع الله من خلال وحى منزل يتضمن تشريعات للحياة على الأرض تصل بالإنسان إلى تحقيق الغاية التى من أجلها خلق ، وهى رضا الله عز وجل وعبادته

وماذا بعد الموت؟

تلك هي القضية التى تشغل بال الناس مسلمهم وكافرهم ..

نظرة الكافر للدنيا

فالكافرون كما أسلفنا يرون أن نهاية الإنسان تكون في الموت والموت عندهم فناء .. أو كما قال قائلهم:

« **أرحام تدفع ، وأرض تبلع** » .

وحين تكون نظرتهم للنهاية هكذا ، فإن نظرتهم للدنيا وما عليها تكون نظرة ضيقة..

فهم يسعون ويشقون لماذا ؟

لكي تكبر أجسامهم وتنمو عضلاتهم أو كما يقول قائلهم أعيش لآكل..

وهم يستبيحون كل شيء . طالما أن النهاية فناء ..

وتغيب في التراب!!

فهم يأكلون الربا ويؤكلون الناس الربا ولا حرج.. وهم يسرقون بشتى السبل ، ويكيدون للناس وللمسلمين خاصة ولا ضير عندهم.

وهم يشربون الخمر ولا حرج...

ويتخـذون الخلائل ، وينتـهكون الأعراض دون أن يعتل لهم ضمير، أو تصيبه الحسرة أو الندامة.

وهم يجعلون نساءهم عرايا أو كـاسيات عاريات، ولا يجدون غـضاضـة فى هذا ، فهى دعـوى تقدمـية أو حضارية والواقع أنها إباحية وديوثية..

وهم يستـحلون لأنفسهـم أن يأتى الرجل الرجل كـقوم لوط من قـبل فإذا خـوطب أحدهم فى ذلك قـال الحرية .. الحـرية وأسفى شديد ، وحزنى أشـد لأنى أجد هذه المآخـذ التى نأخـذها عليـهم تغـشى ديار المسلمين ، ونقلدهم حذو النعل بالنعل ..

والذيـن ينـظرون إلى المـوت علـى أنه النـهـــاية.. يرتكبون أشنع الفعلات ضد الإنسانية.

ألم تر إلـى الذين يحـــاربون الإســلام والمسـلمين الآن..!!

إنهم لم يرقــبـوا فى المسلمين عــهـداً ولا ذمـة ولا إنسانية

تدمر البيوت ، وتسبى النساء فى «البوسنة والهرسك» اقشعر بدن العالم حين ترامت إلى أسماعه أخبار المذابح الجماعية هناك ، مئات الرجال يساقون إلى الساحات ، ثم يرمون جميعًا بالرصاص دون سماع توسلات المرضى والشيوخ وآخر ما سمعنا عن اغتصاب عشرات الألوف من النساء هناك فى أبشع ما عرفته البشرية من خسة ونذالة ، وليس ذلك فى «البوسنة والهرسك» بل يحدث فى شتى بقاع الدنيا حربًا لله ورسوله..

فارتكابهم لهذه الفظائع دون أن يرق لهم طبع ، أو يصرخ فيهم ضمير مؤنب ، أو يختلج لهم جفن إنما مرده إلى حقد دفين على الإسلام من ناحية ، وانعدام النظرة الثاقبة إلى ما بعد الموت ، فإذا كان الموت هو الفناء، فلترتكب كل الجرائم وسنوسد جميعاً فى التراب..

هذه نظرتهم..

وثمة ظاهرة أخرى نردها إلى غياب الفقه لما بعد

الموت وهى ظاهرة نراها أكثر ما نراها فى الدول الأكثر غنى وثروة ، ومدنية..

فأهل هذه الدول لديهم كل أسباب الحياة الرغيدة الوثيرة ، فالأرض عندهم أخذت زخرفها وازينت بكل أسباب الرغد والحياة الهنية..

ووصلت درجة تحكمهم فى الأرض والجو أن ظنوا أنهم ملكوا الأرض وقادرون على تسخيرها..

فماذا بعد ؟

ماذا بعد غنى فاحش ، وثراء متسع، وتوافر أسباب الحياة السعيدة..من طعام شهى، وشراب هنيء ، وكساء وثير ، ومركب فاره سريع.. ووسائل اتصال مع العالم تلغى المسافات ، وتذوب الزمن ، وكل ما يوده من عمل أو إنتاج رهن بأزرار لا يكلف نفسه إلا عناء الضغط عليها إن كان ثمة عناء .. فإذا الأشياء مبسوطة لديه طوع أمره ، ورهن إشارته ، وطى بنانه..

فماذا بعد ؟

حين يجد الإنسان أن كل أسباب الحياة الهادئة الهانئة أصبحت عند قدميه ، وبين يديه .. فماذا يطلب بعد ..

ويصبح الإنسان رهين روتين يومى رتيب متكرر..

الصباح هو الصباح .. والمساء هو المساء ..

حتى إذا شغل صباحه بالكد والعمل وشغل مساءه بالسهر والسكر .. والتحلل..

فماذا بعد؟

. ماذا بعد ؟ ماذا بعد ؟... سؤال يتردد على ألسنتهم صباح مساء..

لا جديد!!

إذاً فما فائدة العيش والنهاية معروفة .. الفناء !!

الفناء ، وطيات التراب.

والنتيجة..

لا حياة .. لا نريدها

والوسيلة..

طلقة رصاص فى الدماغ .. وتنتهى الحياة

أو مجموعة أقراص منومة تملأ المعدة فتوقف القلب وتنتهى الحياة...

أو حبل يتدلى من سقف الغرفة يلفه حول عنقه، فتتكسر فقرات العنق وانتهت الحياة.

أو يتردى من شاهق فتدق عنقه ، وتتكسر عظامه، وتخمد حركته ، وتنتهى الحياة

ومن الطرائف عند هؤلاء العبيد.. عبيد الدنيا والهوى أن إحداهن تنهى حياتها فى شبابها المبكر لماذا؟

لأنها تخشى أن تهاجمها الشيخوخة، فيتغير الشكل وتتبدل الملامح ، ويغزو الشيب مفرقها ، وتتزاحم التجاعيد فى وجهها فيراها الجمهور المعجب الولهان عجوزاً شمطاء فيلفظها لفظ النواة..

وصفحات الصحف السيارة ملأى بهذه الحوادث تلك نظرتهم إلى الحياة..

فكيف ينظر المسلم إليها؟

نظرة المسلم للحياة الدنيا

منذ أن يدخل المسلم الإسلام ، وحقائق الإسلام الثابتة أمام عينيه ولنا أن نتصور هذه الحقائق من خلال معتقدنا الإسلامى.

أولا: للكون إله خالق قادر مدبر حكيم حليم

ثانيًا: خلق الله الإنسان ، وأهبطه إلى الأرض واتخذه خليفة له .. وسخر له المخلوقات

﴿هَو الذِى خلقَ لكمْ مَا فِى الأرضِ جميعاً ثمَّ استوَى إلى السماءِ فسواهنَّ سبعَ سماواتٍ وهوَ بكلِّ شىءٍ عليمٌ﴾ (سورة البقرة : الآية ٢٩)

رابعًا: جعل الله للإنسان هداة ورسلاً .. يتمثلون

فى الأنبياء والمرسلين . زودهم ربنا عز وجل بوحى من عنده هو تشريع يضبط للإنسان حركته ، وحياته..

خامساً: يؤمن المسلم بأن الموت حق.

وأن الموت ليس نهاية الإنسان الأبدية

إنما هو بداية لحياة دائمة لا تنتهى كما أراد ربنا عز وجل .

ويوم القيامة وحين يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار ينادى مناد من قبل الله عز وجل :

يا أهل الجنة خلود بلا موت

ويا أهل النار خلود بلا موت(١)

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه الترمذى (٢٥٥٧).

الموت عدل إلهي مطلق!!

قل لى بربك أيها القارئ العزيز..

إذا كان الموت هو نهاية الكائنات ، ولا شيء بعد ذلك ولا حساب ولا عقاب ..

أهذا يتفق وصفة الله « العدل » .

فالعدل الإلهي يقتضى أن يحاسب الإنسان على ما قدمت يداه ، إن خيرًا فخير وإن كان غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه !!

وإلا .. لو لم يكن هناك حساب .. لترك الباغى يستمرئ بغيه ، وترك الجبار والسفاح يعيث فى الأرض فساداً..

ولأصبح الضعيف ، والشريف ، وذو الأخلاق هملاً أو سقط متاع .. وترك نهبًا للقوى المستأسد الجبار فالحساب إذن يتفق وصفة الله « العدل ».

وكيف يتم ذلك؟

يتم ذلك فى وقت تجمع فيه الخلائق أمام ربها فيحاسبها على ما قدمت..

وهو وقت عرف فى أعراف الشرائع السماوية، وعلى لسان الأنبياء بأنه يوم القيامة أو يوم الحساب أو الساعة ، أو يوم الحشر .. أيًّا كان اسمه فهو يوم الحساب والجزاء..

ولكى يتم ذلك ..

لابد من أن يموت الإنسان

فى كل يوم يموت إنسان أو عشرات الألوف من الناس ملايين – بلايين..

وتمتلئ قبور وتتحلل أجساد ، وتدور الأيام حتى إذا حانت الساعة .. ساعة الفصل . نفخ فى الصور ومات كل الخلائق .. موتة تطول أو تقصر حسب مراد الله وقدره .. ثم ينفخ فى الصور نفخة أخيرة يستيقظ

الناس – كل الناس – من رقدتهم ويخرجون من أجداثهم سراعًا . مع كل منهم سائق وشهيد يوفضون إلى رب حكم عادل .. ليجزى كل امرئ بما اكتسب !!

إذن فالموت هو بداية النهاية!!

وهو أول درج فى سلم الأبدية التى كتبها الله على الناس فى منازلهم جنة أو ناراً..

وهو أول باب يدخله السالك نحو الخلود الذى ارتضاه الله للناس فى أخراهم..

من أجل هذا !!

كان من العدل الإلهى والحكمة الربانية العليا أن يكتم الله ساعة الموت وموعدها عن ابن آدم فلا أحد –مهما كان شأنه – لا يدرى متى ولا أين سيموت!!.

وهو قانون بسطه الله بين يدى الخلق ،ليفرغ الإنسان لأداء مهمته فى الحياة وهو لا يدرى متى تحين ساعته أو تأتى منيته..

﴿وَمَا تَدرِى نَفسٌ مَاذَا تَكسبُ غَداً ، وَمَا تَدرِى نَفس بأَىِّ أَرض تَموت!!﴾ (سورة لقمان : آية ٣٤)

وإلا .. فما هو التصور إذا عرف الإنسان متى سيموت؟

وأين سيموت؟

أتصور أن الحياة ستتوقف ، وسيجلس الإنسان قبالة جدار منزله – إن ابتنى له منزلاً !! ينتظر ساعته .. وقد يقتل نفسه تحاشياً لمرارة الانتظار..

أو أن يرتكب ما يحلو له من الآثام والمعاصى .. ما دام يعرف أن ساعته ما زال أمامها عمر طويل ..

وحين يدنو أجله فعليه أن يقدم الصالحات الباقيات فالعبرة – كما يقال – بالخواتيم..

لكن الله عز وجل وهو الحكيم الخبير أخفى هذه الساعة وتلك اللحظة وغيب عن علم الإنسان أين

يموت..ومتى يموت ..

لتسير الحياة بنظام ، وهدوء ، وتدفع عجلتها بالعمل دفعاً.

وليعرف الإنسان العاقل اللبيب أن له لحظة سيتوقف فيها نبضه وتغيب فيها حافظته الواعية ، ويشخص بصره ناحية السماء فى لحظة تصعد فيها روحه إلى خالقها..

فيتزود بالطاعات ، ويكثر من القربات ، ويسارع فى الخيرات ، ولقد وصف الله عباده المقربين بقوله تعالى:

﴿إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾ (سورة الأنبياء : الآية ٩٠) .

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر

هذا كلام سيد المسلمين، وخاتم المرسلين محمد ﴿الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر﴾(١)

فكيف يكون ذلك ؟!!

يكون ذلك واقعًا نتصوره حين نطالع هذا الحديث لمعلم البشرية محمد صلى الله عليه وسلم «**حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**» (٢)

والمكاره هنا هي ما يشق على النفس احتماله، ويحتاج إلى طول مجاهدة، ومران، وتعود .. فالصبر على الطاعات، وتحمل المشاق في سبيلها، وكبح جماح النفس وشهواتها..

كل هذا من المكاره التي تحتاج إلى جهاد النفس

---

(١)**حديث صحيح** : أخرجه مسلم (١٨/٩٣/نووي) والترمذي (٢٣٢٤)

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه البخاري (١١/٢٧٤) ومسلم (٢٨٢٣).

وإلا فمن من اثنين يجاهد ، ويعود نفسه على الطاعات رجل يسبغ الوضوء – مثلاً – فى ليلة شديد بردها ، قاس قرها ، ثم يخرج إلى المسجد فى الظلمة الحالكة ، والدلجة الشديدة ، فتصعده ربوة أو يتناوشه كلب مسعور أو يلقى في قلبه الرعب لص ضال أم رجل أخلد إلى نار المدفأة يأوى إلى دفئها ، وينعم فى حرها بامرأته وبنيه ، ويشبع نهمته ، ويسد جوعته .. ثم يخلد إلى فرشه يتقلب فيه كما يتقلب الحيوان فى المرعى لا يدرى كيف كانت ليلته ، يبول الشيطان فى أذنيه .. ويصبح متثائبًا يبحث عن راحة أخرى ، ومتعة ثانية . لا يذكر له رباً ، ولا يتخذ له ديناً قيماً هو الإسلام

فمن هو إذن المستريح ؟!!

أظنك تتفق معى أنه من أراح جسده وأخلد إلى الراحة؟

قد يبدو ذلك .. رغم أن الراحة للمسلم لا تتأتى

إلا بطاعته لله عز وجل

لكن الظاهر لنا أن العاصى قد أراح جسده !!

وعلى ذلك .. فالدنيا سجن المؤمن الحق لأنه ينزه نفسه عن شهوات عارضة ، وفتنة زائلة..

ويحرم نفسه راحة ونوماً ومتعة فى سبيل أن ينجح فيما أسنده الله عز وجل إليه من خلافته على الأرض.

ولهذا .. فإن المؤمن حين تحين ساعته يستريح من تعب الدنيا ..

قال النبى صلى الله عليه وسلم .. فيما صح من الحديث:

«مستريح ومستراح منه»

قالوا : يا رسول الله ، ما المستريح وما المستراح منه؟

فقال:

«العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا وأذاها إلى

رحمة الله عز وجل ..

والفاجر يستريح منه العباد ، والبلاد ، والشجر والدواب»[1]

ولننظر فى حديث آخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم يؤصل لنا ما ورد فى أن الجنة حفت بالمكاره وحفت النار بالشهوات عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

«لما خلق الله الجنة : أرسل جبريل إلى الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها

قال: **فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها.**

قال : **فرجع إليه وقال : وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها**

---

١) **حديث صحيح** :أخرجه البخارى (١١/٣٦٢ فتح البارى) ومسلم (٦٥٦) .

قال : فأمر بها فحفت بالمكاره فقال :

فارجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها

قال : فرجع إليها فإذا هي قد حفت بالمكاره فرجع إليه

فقال : وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد.

قال: اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فإذا هي يركب بعضها بعضًا فرجع إليه

فقال : وعزتك لقد خفت ألا يسمع بها أحد، فيدخلها فأمر بها فحفت بالشهوات ، فقال

ارجع إليها فرجع إليها فقال:

وعزتك لقد خشيت ألا ينجو منها أحد إلا دخلها» (١)

---

(١) حديث حسن : أخرجه أبو داود (٤٧٤٤) والترمذي (٢٥٦٠).

الموت هل نكرهه؟!!

ما من شك فى أن أى إنسان يكره الموت ، ويجف قلبه من ذكره.. من منا يتمنى الموت؟!! لا أحد .

«إلا رجل جاهد فاستشهد فوجد عظم ما يلقاه الشهيد من حياة عند ربه ، ومن نعيم يسبح فيه فى الجنة»(١)

فيتمنى أن يعود إلى الدنيا فيقتل ، ثم يعود فيقتل ثم يعود ويقتل .. وهكذا حتى تنتهى الدنيا!!

ولا يتمنى الموت إلا رجل أحاطته الفتن ، وخاف على نفسه الفتنة فى دينه..

---

(١) وهذا وارد فى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما على الأرض من نفس تموت ولها عند الله خير تحب أن ترجع إليكم ولها الدنيا إلا القتيل (أى الشهيد) فإنه يحب أن يرجع فيقتل مرة أخرى «**حديث صحيح**: أخرجه النسائى (٣١٥٩) ، أحمد (٥/٣١٨).

وهذا مدلول حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائه:

«اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وإذا أردت فى الناس فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون[1]»

وهذا مراد قول عمر بن الخطاب – رضى الله عنه–:

«اللهم قد ضعفت قوتى ، وكبرت سنى ، وانتشرت رعيتى فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مقصر» فخشية الفتن فى الدين هى من موجبات طلب الموت .

وهناك صنف من الناس يتمنى الموت هرباً من مسئوليات الحياة ، وضجراً منها .. وفراراً من أقدار الله.. وهو صنف ضعيف واهن فقد إيمانه ، وفقد اتصاله بربه واعترض على قدر الله الغالب..

(١) **حديث صحيح** : أخرجه الترمذى (٣٢٣٣) من حديث ابن عب
وله شواهد.

بل إن بعض الناس يسعى إلى الموت بنفسه ، وينهى حياته بنفسه .. وقد توعد رسول الله هذا الصنف بعذاب الله فى الآخرة من جنس ما قتل به نفسه

«من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده ، يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ومن شرب سمًا فقتل نفسه فهويتحساه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»(١).

لما احتضر حذيفة قال : غط يا موت غطك وشد يا موت شدك.

أبى قلبى إلا حبك ، جاء رخاء العيش بعدك حبيب جاء على فاقه

« أفلح من ندم ، أليس ورائى ما أعلم ، الحمد لله

---

(١) **حديث صحيح** :أخرجه البخارى (٢١١/١٠) ومسلم (١٠٩).

الذى سبق بى الفتنة»[1]

والذى يتمنى الموت لضر أصابه أو نازلة ألمت به أو مرض اعتوره ، أو أحاط عدو به فهؤلاء قوم يعترضون على الله وقدره..

وليس مطلوبًا حينئذ تمنى الموت بل مطلوب التصبر، والتجلد والاعتصام بحبل الله المتين ، واللجوء إلى بابه، والصمود فى وجه الاختبار الإلهى..

وما أحكم دعاء النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه: «**لا يتمنين أحد منكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لابد متمنيًا للموت ، فليقل اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى** »[2]

---

(١) كتاب وصايا العلماء٥٤ للحافظ بن زير الربعى ط.دار ابن كثير دمشق /بيروت.

(١) **حديث صحيح** :أخرجه البخارى (١٠/١٢٧/ فتح) ومسلم (١٧/٧- نووى).

هكذا!!

أحينى ما كانت الحياة خيراً لى

وأمتنى إذا كانت الوفاة خيراً لى !!

ولماذا لا نتمنى الموت ونحن نكرهه؟!!

كراهية الموت ، هى كراهية المعاناة فيه .. وما يصيب الإنسان فيه من هول سكراته وشدته..

وكراهية المسلم للموت لا تعنى كراهية اللقاء ..

﴿من كره لقاء الله كره الله لقاءه﴾.

ولكنا نجد فى الحياة فرصة لن تتكرر ..

فالحياة مجال للزرع والاجتهاد والعمل ..

العمل الذى يدخره الإنسان لنفسه وهى فرصة لن تتكرر..

ويوم الحسرة والندامة .. يوم يعض الظالم على يديه يوم يقول الكافر يا ليتنى كنت تراباً..

سيتمنى الجميع أن يعودوا إلى الحياة ليقدموا العمل

الصالح..

وسنرى من يقول لربه يوم القيامة:

﴿رب ارجعون لعلِّي أَعملُ صالحًا فيما تركتُ﴾

(سورة المؤمنون : الآية : ١٠٠)

لكن هيهات هيهات!!

لا عودة إلى الدنيا.

﴿إنَّها كلمةٌ هو قائلها ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يبعثون﴾ (سورة المؤمنون : الآية : ١٠٠)

فالعاقل من يدخر حياته للبذر ، والحرث .. والزرع لابد وأن يحسن استغلال المرء لدنياه ، وإلا كان من الخاسرين

ولله در القائل:

إذا صح بدء المرء صح انتهاؤه..

ومن حسَّن الأولى فأخراه في يسر

أو قول القائل :

«إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً..

ندمت على التفريط في زمن البذر»

وفي حديث سيد البلغاء ومن أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم ما يشير إلى هذه المعاني في إيضاح جميل .. فيما ذكرته لنا السيدة الفاضلة زوج العباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليهم وعمه العباس يشتكي ، فتمنى الموت فقال له :

«يا عم لا تتمن الموت ، فإنك إن كنت محسنًا فإن تؤخر وتزداد إحساناً إلى إحسانك خيراً لك ، وإن كنت مسيئًا فإن تؤخر وتستعتب من إساءتك خيراً لك .. فلا تتمنين الموت »(١)

وسيأتي على الناس زمان يتمنى فيه الرجل أن يكون ميتاً حين تدلهم الخطوب ، وتكثر الفتن ، ويعم الفساد

---

(١) **حديث حسن** : أخرجه احمد (٣٣٢/٣) والحاكم (٣٣٩/١).

إلى هذا أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى كنت مكانه**»(١)

فطول العمر فرصة..

والحياة على ظهر الدنيا فرصة لمن يريد الاستزادة..

ولا عذر لأحد طال عمره ، واستمرت مسيرته على ظهر الدنيا عمراً يحسده الناس عليه..

ففى الحديث : عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

«**أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى يبلغ ستين سنة**» (٢).

---

(١)**حديث صحيح** :أخرجه البخارى فى فتح البارى (٩٣/١٣) ومسلم بشرح النووى (٣٤/١٨)

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (٢٢٨/١١) فتح البارى .. وأخرجه البغوى فى شرح السنة (٢٣٣/٢٣٢/١٤).

الموت كفارة للمسلم، وأسف للكافر

للموت أهواله، وعذابه، وسكراته، ومعاناته..

ومصيبة هى ختام المصائب التى تنتاب الإنسان فى الدنيا ولأن الله عز وجل حكم عدل، فإنه لم يترك المسلم يعانى هذه المعاناة دون أجر يصيبه، أو ثواب يناله..

قال صلى الله عليه وسلم: «**ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها**»(١)

أو كما جاء فى موطأ الإمام مالك عن أبى هريرة رضى الله عنه:

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **من يرد الله به خيراً يصب منه** » (٢).

وفى موازنة رائعة بين الأمرين، والموت فى الحالتين حالة المسلم وحالة الكافر .. نعرض هذا الحديث:

(١) **حديث صحيح**: أخرجه البخارى (٧/١٥٥) ومسلم (٢٥٧١)

(٢) رواه مالك فى الموطأ.

ولله در أبى الدرداء رضى الله عنه حين قال :

«أحب الموت اشتياقاً إلى ربى

وأحب المرض تكفيراً لخطيئتى

وأحب الفقر تواضعاً لربى عز وجل»

فانظر إلى كلمات أبى الدرداء وهو يتحدث عن محبته للقاء الله شوقاً إليه ، وتطلعاً إلى لقائه..

وهذا معنى أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديثه قال:

«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » فقلت «أى السيدة عائشة»(١)

يا نبى الله أكراهية الموت فكلنا نكره الموت فقال:

«ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه ، وأن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه»(٢)

---

(١) ما بين القوسين توضيح من المؤلف.

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (١١/٣٠٨) ومسلم (٣٦٨٣).

حسن الظن بالله

مشاع بين صفوف المسلمين – عامتهم – بالذات أن حسن الظن بالله تعالى يفضى إلى التواكل ، واطراح الأعمال الصالحة وراء ظهورهم ، بدعوى أن النيات صافية ، والقلوب بيضاء ، وأن الله رب قلوب لا رب مظاهر..

وأننا مسلمون وسندخل الجنة!!!

والمسألة كلها تكأة يتخذها المسلمون للتهرب من الفرائض والتكاليف الشرعية التى شرعها الله عز وجل ويشيع على ألسنتهم – بجهل أو استهتار أن المسألة ليست بالصيام والصلاة ، إنما هى مسألة نية سليمة ، وقلب أبيض وخدعوا أو جهلوا فالقلوب البيضاء هى القلوب العامرة بالطاعات ، الممتلئة بالذكر والقرآن...

وما عداها فقلوب سوداء خربتها المعاصى ، وملأتها الآثام نكتًا سوداء حتى يستحيل كالقدر فوق

الأثا في اسود لونه وتفحم قعره...

إذاً فما إحسان الظن بالله؟

وهل هو الاتكال على العنوان الكبير

«مسلمون وسندخل الجنة»

أعتقد أن المسألة أضخم من ذلك ..

ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد حسم القضية مبكرًا وقبل أن يخوض الناس فيها ، وربط إحسان الظن بإحسان العمل ..

فإحسان الظن يستتبع أن يكون الإنسان مسلماً بالوصف ، والاسم ، والفعل.

وأول التزام الإنسان المسلم هو التزامه بفرائض الله عز وجل ..

وفي الحديث: « **وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه** »(١)

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه البخاري (فتح ١١/٣٤١).

وحسن الظن بالله يستتبع أيضاً أن يحسن الظن بعفو الله وكرمه ومغفرته ورحمته ..

وفوق هذا كله وقبله لابد وأن نقدم العمل، والعمل الصالح حتى نستحق كرم الله..

والإنسان حين يقدر الله حق قدره ويعرف من هو الله تعالى بصفات الكمال والجلال معرفة تمكنه من إحسان الظن بالله فهو الله العزيز القدير وهو الله الجبار المنتقم وفوق هذا فهو غافر الذنب وقابل التوب

والله عز وجل لا يتعامل معنا بالأرقام والبيانات — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

إنه الكريم ، الرحمن ، الرحيم

ولن يدخل أحد منا الجنة بعمله — لأن عملنا مهما عظم فهو قاصر كليل لا يكافئ نعم الله علينا ولا يوازيها..

وإلى هذا نبهنا الصادق المصدوق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال :

«سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله»

قالوا : ولا أنت يا رسول الله

قال : « **ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته** » (١)

وقد يبلغ الإنسان فى الخوف من الله وحسابه درجة يدخله الله تعالى بها الجنة.

روى عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « **كان رجل ممن كان قبلكم يسىء الظن بعمله فقال لأهله إذا أنا مت فخذونى فذرونى فى البحر فى يوم صائف** » .

ففعلوا ، فجمعه الله ثم قال:

« **ما حملك على الذى صنعت ؟ قال : ما حملنى عليه إلا مخافتك فغفر له** » (١)

فإحسان الظن بالله تعالى من الأمور التى يحب أن يتحلى بها الإنسان..

والله عز وجل يذكرنا بأنه عند ظن العبد به:

« **أنا عند حسن ظن عبد بى....** » .

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (١١/٢٩٤/فتح) ومسلم (٢٨١٨).   (٢) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (٦٤٨/فتح).

ويوم صائف : يوم شديد الريح.

الموت

كما قال أبو العلاء المعرى

والموت آخر علة يعتلها البدن العليل

والنذر التى تسبق الموت هى من فضل الله على العبد

إذا انتبه العبد إلى حقيقتها وأنها مؤشر على وجود حقيقة لا يجب أن تغيب عن بال العبد وهى (الموت) وأن لحظة لقائه بالله قريبة..

تمر على الإنسان كل يوم بل كل لحظة من النذر ما يجعله يذكر الموت كل لحظة إن هو وعى ذلك..

فكر الليالى ومر الأيام يقربان الإنسان من النهاية فى كل مرة أنزع ورقة من (نتيجة الحائط) أشعر أننى أسير نحو النهاية وأقترب من حافة الموت.

فى كل يوم نشيع ميتًا إنما هو نذير يذكرنا بالموت حتى عندما يفقد الإنسان ضرسًا من أضراسه فإنما هو

مؤشر يذكر الإنسان بتقدم عمره واقترابه من النهاية

والشعر الأشيب ، وكلال البصروهن العظم واحتياج الإنسان إلى عصي يتوكأ عليها هي نذر تشير إلى نهاية الأجل...

حتى خطواتنا التى نخطوها كلما زادت واتسعت كلما قربتنا من النهاية...

كنت أعتزم أن أسافر إلى جهة ما ...

وحزمت أمتعتى وخرجت لأسافر إلى تلك الجهة وقابلنى شخص فغيرت مسار اتجاهى ووجدتنى أدخل شوارع جديدة ، وأماكن جديدة ، لم أكن أنتوى أن أزورها حين هممت بالسفر

فقلت سبحان الله

ومن كتبت عليه خطًا مشاها وهى بالفعل خطًا كتبت علينا نمشيها حسب قدر الله وتخيلت خطواتنا

مـرسومـة على خريطة تحـدد اتجاه القـدم وكم من ذرات التراب نطأها بأقدامنا.

ثم سـألت نفسى كم خطوة يخطوها الإنسـان فى هذه الدنيا ملايين!! مليارات أى عدد كبر أم صغر...

هى خطوات قدرها ربنا لكل واحد من خلقه بعدد معلوم عنده ..

ونحن منذ أن درجنا على الأرض .. وخطونا أولى خطواتنا العـاجزة ، ونحن نقتـرب من نهايتنا خـطوة بعد خطوة

ويتناقـص عـدد هذه الخـطوات يومًا إثر يوم حـتى ينفد هذا العدد ، بعدها يتمدد الإنسان– رغمًا عنه– على خشبة حدباء لا يحرك ساكناً ، ولا يقدم رجلاً .

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته

يوماً على آلة حـدباء محمول

سكرات الموت

للموت سكرات؟

نعم سكرات وألم شديد ، ومعاناة ذاقها كل الخلق ملك مقرب أونبى مرسل ، أو رجل صالح

وإذا أراد الله بعبد خيراً شدد عليه سكرات الموت حتى يخرج من الدنيا ولا سيئة عليه ..

﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ (آل عمران ١٨٥)

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ (سورة ق : الآية :١٩)

﴿كلا إذا بلغت التراقى﴾(سورة القيامة : الآية :٣٦)

﴿ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت﴾

(سورة الأنعام : الآية :٢٣)

﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾ (سورة الواقعة : الآية :٨٢)

مواضع فى القرآن ذكر فيها الله عز وجل شدة

الموت وسكراته على المؤمن والكافر..

فالكافر يعاني من سكرات الموت ومن شدته تعذيبًا له واحتقاراً لشأنه ، وهواناً له عند الله ..

فيجد من هول الموت وفزعه ، ومن حضور ملك الموت وملاقاته ما هو أشد على النفس من ضرب السيوف ، ونشر المناشير ، وقرض المقاريض فهو كعصفور وضع حيًا على مقلاة يقلى عليها فلا هو يموت فيستريح ولا هو ينجو فيطير ، أو كشاة يعلقها القصاب وهى حيه ثم يسلخها (١)

أما المؤمن .. فيعاني سكرات الموت زيادة فى أجره وتكفيراً لذنوبه ، ورفعًا لدرجته عند الله ليخرج من الدنيا نظيفًا خاليًا من أكدار السيئات وأوضار المعاصي..

فإن أحدنا لا يدرى ما يحدث له..فسكرات الموت

---

(١) تنسب هذه الأقوال إلى موسى عليه السلام ، والله أعلم.

ومعاناته من الأمور التى غيبها الحق تبارك وتعالى عنا...

وعلى قدر العبد عند الله تكون معاناته..ولقد كانت الأنبياء أشد الناس معاناة فى سكرات الموت لتعظيم منزلتهم عند الله تبارك وتعالى ..

وما أشد ما وجد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى سكرات الموت ..

كان – صلى الله عليه وسلم – إذا أخذته السكرة، غاب عن الدنيا..

فإذا أفاق وضع يده فى ركوة أو علبة بها ماء ويمسح بها وجهه ويقول :

«لا إله إلا الله إن للموت سكرات»(١)

ولقد شهدت السيدة عائشة رضى الله عنها هذه اللحظات الثقيلة على النفس والروح .

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (٨/١٤٤) وأحمد (٦/٤٨، ٢٢٧) والبغوى فى شرح السنة (١٤/٤٤).

ولقد ذكر البخارى [1] رضى الله عنه – عنها –رضى الله عنها– قالت :«**مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لبين حاقنتي وذاقنتي فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبى صلى الله عليه وسلم** »[2]

لقد ذكر لنا الصحابى الجليل عمرو بن العاص وصفاً للحظات الموت وتلك السكرة التى تغشى الميت..

وقد كان يقول دائماً :

«**عجباً لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه**» فلما نزل به قال له ابنه عبد الله:

---

(١)**حديث صحيح** : أخرجه البخارى (٨/١٤٠/فتح) والنسائى (١٨٣٠) وأحمد (٦/٦٤ و٧٧)

(٢) الحاقنة : المطمئن بين الترقوة والحلق ، والزاقنة : نقر الذقن أوما تناله الذقن من المصدر.

يا أبت إنك كنت تقـول : عجـبًا لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه فصف لنا الموت.

قال يا بني:

« الموت أجل من أن يوصف ولكني سأصف لك منه شيئًا أجدني كأن على عنقي جبال رضوى وأجدني كأن في جوفي الشوك وأجدني كأن نفسي تخرج من ثقب إبرة »(١)

فهل رأينا وصفا للموت كهذا ..

وبعـد: فهـذا غيض من فـيض في وصف سكرات الموت نسأل الله أن يجعلنا في الصالحين من عباده..

---

(١) **حديث صحيح** :أخرجه أحمـد (٤/١٩٩/ ٢٠٠) عن عـوانة بن الحكم

التلقين

أحب شيء الى نفوسنا أن نجد أهلنا وعشيرتنا وأحباءنا ممن غشيهم الموت ودنا منهم ، أن نرى ألسنتهم تلهج بذكر الله ويلفظون بلفظة التوحيد..

لا إله إلا الله ..

ولأن هذه اللحظات لحظات عصيبة لا ندرى ما يحدث فيها للميت فإن الإسلام لم يترك الميت هكذا وحده دون مشاركة المحيطين له .. وحرصهم على أن تكون خاتمته خاتمة حسنة وهى لحظات يتحير فيها الحكيم ..

لحظات يكون الشيطان فيها أقرب ما يكون من ابن آدم ، لذلك ما إن نرى ميتنا يعانى سكرات الموت حتى نذكره بالله برفق وروية وهدوء ..

ولا يملن أحدنا من ترديد لفظة الشـهادة .. قوله لا إله إلا الله مـحمـد رسول الله .. أمـامه حـتى يرددها من حانت ساعته وآن أوانه

نسأل الله عز وجل أن يـكون آخر كلامنا لا إله إلا الله .. محمد رسول الله..

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لقنوا موتاكم : لا إله إلا الله» (١)

فهي كلمـة التوحيد وهـي مفتاح القـبول والولوج إلى الرضـوان الأعلى وبهـا بشـر رسـول الـله صلى الله عليه وسلم « **من كانت آخر كلماته بالجنة ..**»

قال صلى الله عليه وسلم :

«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»(٢)

(١) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم (٦٣١) وأبو داود (٣١١٧).

(٢) **حـديث صحيح** : أخـرجـه أحـمـد (٥/٢٧٤٢/٢٣٣) والحـاكم (٣/٣٥١) وابن حان (٥/٢٩٩٣) .

ومن المناسب فى ذلك الموقف المهيب أن يتكلم المتحلقون حول الميت بكلام طيب .. وبكلام الخير..

ومن هنا يستحب أن يحضر لحظات الموت الصالحون .. وأهل العلم ، والمشهود لهم با رتياد المساجد من المعلقة قلوبهم بالمسجد والصلاة ، ومن أهل الخير الذين يحفظ الناس لهم هذا الخير ويعرفونه عنهم...

فيتحدثون حديث الخير ، ويتكلمون بما يفيضه الله عليهم من ذكر وعلم ويسمعون الميت ما يبشره من أعماله الصالحة وإن قلت ..

تغميض العينين

ومن المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الميت إذا حضرته الوفاة يعمد أحد الحاضرين إلى إغماض عينيه فما أبشع أن يموت الإنسان شاخصاً ببصره إلى السماء، أو جاحظ العينين..

ولكرامة الإنسان يجب أن يلقى الانسان التكريم حيًا وميتًا وأن يلقى ربه على أحسن صورة وأكرمها .. وما الكفن والغسل والحنوط وغير ذلك إلا من مظاهر تكريم الله للإنسان حيًا، وميتًا ولننظر فى فعل النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الأمر .. فإنه أدق للوصف، وأحوط للرواية، وأشمل للعلم ..

عن أبى بكرة قال:

« ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى سلمة وهو فى الموت فلما شق بصره مد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فأغمضه

فلما أغمضه صاح أهل البيت ، فسكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال:

إن النفس إذا خرجت يتبعها البصر ، وإن الملائكة تحضر الميت ، فيؤمنون على ما يقول أهل الميت ، ثم قال صلى الله عليه وسلم :

«اللهم ارفع درجة أبى سلمة فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين ، واغفر لنا وله يوم الدين»(١).

فانظر إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه تكريم للميت بتغميض عينيه ..

وحض على الكلام الطيب ..

ودعاء كريم لواحد من أصحابه ..

وهكذا يجب أن يكون اقتداء المسلم ...

---

(١) **حديث صحيح** :أخرجه مسلم (٩٢٠) وأبو داود (٣١١٨).

روحان

صعدت الروح إذن لبارئها ..

ولا تحسبن أن صعود الروح من الأمور اليسيرة التى نمر عليها غير عابئين بما يدور حولها ..

ونحن يقينًا نعلم أنها من المغيبات التى حجبها الله تعالى عنا .

لكن النبى صلى الله عليه وسلم وهو الموحى إليه والمؤيد من قبل ربه سبحانه .. يصف لنا كيف يستقبل أهل السماء روح المؤمن وكيف يستقبلون روح الكافر فيقول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أبو هريرة رضى الله عنه :

«إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها»(١)

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم (٢٨٧٢).

قال حماد : فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال :

ويقول أهل السماء : « **روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليكِ وعلى جسدٍ كنت تعمرينه فينطلق إلى ربه عز وجل** »

ثم يقول : «**انطلقوا به إلى آخر الأجل** »:

قال : وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد :

وذكر من نتنها «وذكر لعنًا » ويقول **أهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الأرض فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل** »

قال أبو هريرة :

«**فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ريطة كانت عليه على أنفه هكذا** » (١)

---

(١) حديث صحيح : أخرجه مسلم (٤/٢٢٠٢) عبد الباقى).

مشاهد

من المشـاهد التى لا يشعـر بهـا المحيطون بالميت مـا يجده الإنسـان – الميت – التى انقطعت به أسباب الحياة وأصبح فى عداد أهل الدار الآخـرة بمنازلها .. وأول هذه المنازل القـبـر مشـاهد يعـجـز لسـانه عن النـطق بهـا ، والتـصريح بمـا يراه ، ذلك لأنها من الـغيب الذى ادخـره الله للإنسان ، فـإذا مات كشف له الستـر عنها .. وأماط له اللثام ..

فيرى حضور ملائكة الرحـمة ..

إن كان مؤمناً ..

ويرى ما أعد له فى الجنة .. ويرى مقعده فيها .

أو يرى مـلائكـة تزجـره وتلعـنه ، إن كـان من الكافرين .

ويرى ما أعد له فى النار ويرى مقعده فيها ..

هذا غيب غيب عنا لحكمة أرادها الله فى الناس .. وكى تستقيم الحياة للناس دون رعب أو فزع .

وإلا فمن الذى يطيب له العيش وهو يعـاين مصائر من حوله إن خيراً فخيراً وإن شراً فشرً..

فـاقـتـضـت حكمـة الله عـز وجل أن يـغـيـب هذه المشاهد عن المحيطين بالميت رحمة منه وفضلاً ..

غـير أن الصـادق المصـدوق صلى الله عليـه وسلم اخبر بطرف يسـير من ذلك كيمـا يكون للإنسان صورة

ولو مبسطة – عن هذه المنازل التى يجهل كثيراً من أمورها .. بل إن أمرها أعظم وأجل من أن يوصف .. وعلم ذلك كله عند ربى عز وجل ..

فماذا قال النبى صلى الله عليه وسلم – قال فيما رواه عبد الله بن عمر :

«إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار » .

يقال : **« هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»** (١).

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (١١/٣٦٢) فتح البارى).

الوصية

معترك الحياة ساحة مترامية الأطراف يختلط فيها الحابل بالنابل والضارب في مناحي الحياة ، والساعي على معاشه ..

تطوينا الأيام ،ويحتوينا كر الليالي وتتابع العشي..

ويغرق الإنسان إلى شحمة أذنيه في متطلبات عيشه ونحن في زمان قد اشتد فيه الطلب على الحياة ، فما عدت تجد الناس إلا أحد رجلين .. رجل لا يجد قوت عيشه إلا بالكاد فهو معنى بالبحث عنه مشغول بأمره

ورجل غارق في النعمة والغنى فهو شغوف بما عنده .. مشغول أيضا بأمره

كل هذا ؟ والمنايا فوق الإنسان حوم ، وملك الموت يترقب بنا ساعة النزع ، فينزع الروح غير آسف ولا منتظر ويفجأ الإنسان بالنهاية ، ويروعه المصير ..

فيجد نفسه أمام سؤال الملكين وضغطة القبر ، ومن قبلها كان يعانى سكرات الموت ، وقد بلغت الروح الحلقوم

ويندم ولات حين مندم ..

ويتمنى أن يعود إلى الدنيا ولا عودة

ويتحسر وما يفيد التحسر ..

يتمنى عمرا غير الذى انقضى ، وسنينًا غير التى مضت لكن سبقت كلمة ربك ﴿ أنهم إليها لا يرجعون ﴾ (سورة القصص : الآية :٣٩) .

من هنا .. كان من اللازم اللازب للإنسان – وللإنسان الذى يعى المصير ويفقه النهاية أن يحتاط لنفسه ، وأن يأخذ بأسباب النجاة ، فيوصى ..

يوصى أهله وذوى رحمه أن يعينوه على اجتياز هذه العقبة الكؤود

ولقد حرص الصحابة الكرام على هذه الوصية

حـرصـهم على أداء الفـرائض ، والتـقـرب إلـى الله بالنوافل..

وسنرى في كلمات الفقيـه المحدث المفتى (عبد الله ابن عمـر) رضى الله عنهمـا فى هذا الشأن مـا ينبىء عن أهمية الوصية ، وكيف أنها من صحة إيمان المرء ، وتمام فقهه ومسئوليته أمام الله تعالى :

ولقد سمع الصحابى المحدث (عبد الله بن عمر)[1] حـديث النبى صلى الله عليـه وسلم عن الوصيـة ، ونظر فى تحذيره صلى الله عليه وسلم وتشديده على الناس فى أمر الوصية فقال ابن عمر:

«لم أبت ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك إلا ووصيتي عندى»

---

(١) أحد العبادلة الأربعة من شباب الصحابة : عبد الله بن عمر ، وابن عباس وابن العاص ، وابن الزبير وله فى كتب الحديث (٢٦٣٠) حديثاً ، وهو آخر من توفى من الصحابة بمكة سنة ٧٣ هـ.

فانظر إلى حرص الصحابة ومن يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم على التمسك بأهداب أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وتشريعه ..

ومن حق ابن عمر وغيره من المقتدين أن يضع وصيته كل ليلة تحت وسادته ويوصى أهله وذويه بالالتزام بما فيها

فالحديث – حديث النبى صلى الله عليه وسلم – حسم أمر الوصية..

وشدد على كتابتها قال الهادى البشير صلى الله عليه وسلم :

«ماحق امرئ مسلم له شيء يوصى به [1] يبيت

---

(١) لفظه فى البخارى (يوصى فيه) وعند مسلم له شيء يريد أن يوصى فيه

ليلتين (١) الا ووصيته عنده مكتوبة»(٢)

واللافت للنظر أن الصحابة كانوا يعلمون أنفسهم كتابة الوصية (٣) كما كانو يعلمون أنفسهم حفظ الآية من القرآن الكريم وقد كانت تلك سنة متبعة عند جيل الصحابة ، يعمدون إلى تراث النبوة فيحفظونه فى الصدور ، ويعمدون إلى ذرياتهم فيعلمونهم ذلك كله كما كانوا يعلمونهم السورة من القرآن

وآية الإعجاب فى أمر هؤلاء أننا فى زمن عجيب ، لا يلتفت فيه الناس إلى شيء من ذلك كله ، حتى كتاب

---

(١) المراد هنا لا يمضى عليه زمان وإن كان قليلاً إلا ووصيته مكتوبة عنده .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (٢/٤) ومسلم (١٦٢٧).

(٣) قامت دار الصحابة بنشر «الوصية الشرعية » عبارة عن لوحة كبيرة تحتوى على ما يجب أن يوصى به الإنسان قبل وفاته.

الله تركوه وراء ظهورهم ، فلا هم يحفظونه ولا هم يعنون بشئونه ولا يتولون أمره عند أولادهم ، إنما يتركون ذلك كله للهيئات والجمعيات التى تعنى بأمر القرآن والسنة ، لقد كان أمر الإسلام فى صدور رجال الصدر الأول أعظم من كل الموروثات على ظهر الأرض ، وكانوا جيلاً يتحرك بالقرآن ومنهاجه ، ويتحركون له ومن أجله فنشروا الإسلام بأبهى صوره، وأسنى مقاماته ..

ونحن هنا – حين نلفت الأنظار إلى هذا الأمر – أمر تعليم شرائع الإسلام ، والتواصى بتعليمه إنما نريد أن نرد أنفسنا إلى جادة الطريق.

وإذا كنا نتحدث عن الوصية هنا .. والتواص بتعلم كتابتها والوقوف عند مدلولاتها .. فإنما نتحد عن جانب من الدين عظيم للإنسان فى عاجل أمـ وآجله.. ذلك لأن الوصية ....إقرار بما للإنسان وبما عا

وشهادة صادقة وهو يودع الدنيا أن كل أمره - لحمته وسداه - هو التوحيد الخالص المجرد من كل شوائب الشرك، وعقابيل الاستئناس بأحد غير الله ..

ونحن حين نعرض هنا لطائفة من وصايا الصحابة والتابعين، إنما نعرض للوصية فى أخلص صورها وأنقى ما شرعت من أجله .. وسنرى طائفة من الوصايا لا تحمل بين طياتها سوى الإقرار بالتوحيد والتواصى بالإسلام.

وستعجب معى حين ترى كثيراً من هذه الوصايا خلواً من الإشارة إلى المال الموروث، والعرض المتبادل جيلا بعد جيل.

أفيكون ذلك لأن هؤلاء أقوام جردوا أنفسهم من متاع الدنيا أولاً بأول وبذلوه فى مصارفه ولأولى العوز، وإخوة الفاقة عن طيب نفس، وسلامة قصد وخالص نية لله رب العالمين ؟!!

أم ترى أن هؤلاء أقوام كان لباب سعيهم يتمثل فى قوله تعالى :

﴿قل إنَّ صلاتِي ونسكي ومحياىَ ومماتي للهِ ربِّ العالمين لَا شريك له وبذلك أمرتُ وأنا أول المسلمين﴾.

(سورة الأنعام : الآيتان : ١٦٢–١٦٣)

قد يكون هذا أو ذاك أو غير ذلك مما جهلنا من مناهج هؤلاء الصالحين ، أهل القدوة ، والتأسى ..

رضى الله عنهم ورضوا عنه .. ونفعنا الله بهم وألحقنا بهم فى مستقر رحمته . . جل فى علاه ، وتقدست أسماؤه .. اللهم أخرجنا من خضم الحياة الهادر ، المضطرب ، المهلك لمن سبح فيه دون دليل من قرآن أو سنة..

أخرجنا منه يا ربنا غير خزايا ولا نادمين ، آمين اللهم استجب ... يا كريم.

وصية الصديق أبو بكر رضى الله عنه

عن عائشة رضى الله عنها قالت:

قال لى أبى :

فى أى شىء كفنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قلت:

فى ثلاثة أثواب . قال:

انظرى ثوبى هذين فاغسلوهما – وكانا مشقين (١)

لست أدرى أى تعليق يوفى الصديق حقه كرجل بعيد النظر بالغ التجرد ، التجرد من متاع الدنيا حتى

(١) أى مصبوغين بلون أحمر يسمى المغرة.

وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ويرى أن انشغال أهله بإعداد كفن ذى ثلاثة أبواب هو لون من التكلف وضرب من السرف الذى رفضه طوال حياته ، وطالما أنه يملك ثوبين فيكفيه معهما ثوب ثالثليكتمل له كفنه ، ويتم له ستره قبل أن يحملوه من بيته إلى غير رجعة إليها .

ويترفع الحس الإنسانى عند الصديق عندما يعلن أن الحى أولى من الميت بما يترك حتى ولو كان هذا المتروك لا يعدو أن يكون ثوباً يصلح لكفن ميت..

يرحم الله الصديق .... فهو كما قال الخليفة الثانى عمر رضى الله عنه « أتعب من بعده».

وصية أبي هريرة رضي الله عنه[١]

وهذا نموذج من الوصايا التي يحرص صاحبها على أن يلتزم فيها بما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم .

قال رضي الله عنه عند موته:

« لا تضربوا على فسطاطًا ، ولا تتبعوني بمجمر ، وأسرعوا بي –أسرعوا بي – فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة ، قالت: قدموني وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها : يا ويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمع الإنسان لصعق»[٢]

---

(١) عبد الرحمن بن صخر الدوسي« اليماني ، سيد الحفاظ ، أسلم سنة (٧) هـ من رواة الحديث روى (٥٣٧٤) حديثًا ، كني بأبي هريرة لأنه كان يحمل هرة في كمه ، وتوفي سنة (٥٩) هـ رضي الله عنه

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه البخاري (١٠٨/٢)

وهذه وصية عمران بن حصين رضى الله عنه

قال لما احتضر :

«إذا أنا مت فشدونى على سريرى بعمامة فإذا رجعتم فانحروا وأطعموا»

وعمران بن حصين هذا من فضلاء الصحابة رضوان الله عليهم أسلم عام خيبر ، وكان فقيه البصرة فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. ويقسم الحسن البصرى رضى الله عنه أنه ما قدم البصرة خير لهم من عمران ، وهو مجاب الدعوة كما اشتهر عنه..

وهو حين يضع وصيته مع آخر أنفاسه إلى الدنيا فإنما يلفت أنظارنا إلى أمر مهم فى سنن النبى صلى الله

عليه وسلم وهو إعداد الطعام لأهل الميت

فيقول رضى الله عنه لمن حوله:

«فإذا رجعتم فانحروا وأطعموا »

ولقد روينا فى سنن الترمذى وأبى داود وابن ماجه عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنه قال :

لما جاء نعي جعفر بن أبى طالب[1] رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم :

«اصنعوا لآل جعفر طعامًا ، فقد أتاهم ما يشغلهم»[2] وتلك سنة تخلق فى المجتمع روح التكافل والتكامل ، والتواد.

(١) للمزيد انظر كتابنا (جعفر بن أبى طالب ضمن سلسلة يا ولدى هذا جدك العظيم)

(٢) حديث صحيح :أخرجه أبو داود (٣١٣٢) والترمذى (٩٩٨).

وصية عمرو بن العاص

ولنر جانبًا آخر من وصايا الصالحين ، قد فات على كثير ممن احتضروا .. فما سمعنا غير عمرو قالها - إلا قليلاً مما أدرك هذا المعنى ..

ولقد لفت عمرو بن العاص نظرى فى هذه الوصية، وحياته كلها محل انتباه..

فهو رجل معنى بأولى منازل الدار الآخرة حين يلج القبر وحيدًا ، وفى انتظاره لجنة الاختبار الأولى بعضويها (الملكين الاثنين) وكشأن كل من يجابه هذا الموقف فى امتحانات الدراسة فى الدنيا لابد له من لحظات ولو قليلة - يراجع فيها نفسه - ويلم شتات

فكره وعمرو بن العاص – وهو رجل اشتهر بأعمال العقل وانتصاره لهذا العقل ، وتغليبه على العاطفة إنما يفكر فى هذه اللحظات القليلة .. عقيب دخوله القبر.

فلننظر كيف يتحصل عمرو الداهية على هذه الفرصة؟!!

قال عمرو بن العاص لأولاده..

«إذا أنا مت فلا تتبعونى نائحة أى لا تصحبنى نائحة ولا نار

فإذا دفنتمونى فشنوا على التراب شنًا [1] ثم أقيموا عند قبرى قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها!!»

(١) شنوا: أسيلوا .

لماذا يا عمرو بن العاص ؟!!

يقول عمرو:

«كى أستأنس بكم ، حتى أنظر ما أراجع به رسل ربى»[1]

وكيف أتى عمرو بن العاص بهذا الكلام ؟!

بل كيف تبادر إلى ذهنه هذه المعانى ؟

بل كيف اتفق له أن يفكر فى أنه يجب عليه أن يتمهل فى القبر حتى يراجع رسل ربه ؟!!

---

(١) الحديث رواه مسلم باب الإسلام يهدم ما قبله (١٢١) صحيح مسلم .

ما أظن أن أبا عبد الله عمرو بن العاص إلا وقد قصد ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم أن الملكين لا يبدءان فى سؤال الميت فى القبر إلا بعد أن يسمع قرع النعال للمشيعين على مبعدة من القبر..

فإذا خرج آخر المشيعين .. بدأ الحساب

فعمرو بن العاص هنا ، يطلب مهلة لمراجعة نفسه قبل أن يدلى بأقواله أمام الملكين ..

وهذه المهلة سيصنعها المشيعون حين يبقون أمام المقبرة وقتًا يعادل ما يكفى من الوقت لذبح شاة وتجهيزها وتقطيعها ..قد يكون هذا الوقت ساعة ، أو نصف الساعة قد يطول أو يقصر!

المهم أنه فرصة للمراجعة لا يصنعها إلا أمثال عمرو بن العاص من هنا فإن الوصية للأحياء أن يطول مكثهم أمام المقبرة ليتسنى للميت أن يراجع نفسه ..

ولعلنى أتخذ هذا الكتاب ذريعة لأثبت فيه وصيتى لمن يبلغه هذا الكتاب ، ووصيتى قد أودعتها لدى أهلى وذوى ، غير أنى هنا أريد فعلة عمرو بن العاص ..

فليمكث المشيعون عند قبرى قدر نحر جزور ، وتقسيم لحمه .. (حتى أنظر ما أراجع به رسل ربى) فليبلغ الشاهد عنى الغائب. وليتواص من يعرفونى بتحقيق ذلك لى ... جزى الله الجميع خيراً

وصية أبي بكر محمد بن سيرين رحمه الله

وثمة وصايا تسير على نمط وصية نبي الله يعقوب عليه السلام كان كل همه أن يوصي أولاده بالإسلام ..

بها أخذ محمد بن سيرين رحمة الله عليه وهو رجل إمام تابعي ثقة ، يروي الحديث عن أنس بن مالك وزيد بن ثابت وحذيفة وغيرهم .. كان يعبر الرؤيا.

كتب وصيته قبل موته وفيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به محمد بن أبي عمرة بن سيرين) بنيه وأهله ، أن اتقوا

الله، وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين وأوصى كما أوصى يعقوب بنيه ﴿يابنيّ إنّ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون﴾

(سورة البقرة : الآية : ١٣٢).

وأوصى ألا يرغبوا أن يكونوا موالى الأنصار وإخوانهم فى الدين.

وأن العفة والصدق خير وأبقى وأكرم من الرياء والكذب ، وإن حدث لى حدث فى مرضى هذا فلى أن أغير وصيتى هذه ثم ذكر حاجته .

وصية الإمام الأوزاعي رحمه الله

والإمام الأوزاعي هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد من قبيلة الأوزاع كان إمام الديار الشامية في الفقه والزهد ، وكان أمره بين الناس أعز من السلطان.

سئل الإمام الأوزاعي : كيف يكتب الرجل وصيته؟

قال : يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما شهد به فلان بن فلان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور على ذلك يحيا وعليه يموت ، وعليه

يبعث إن شاء الله وأوصى إن حدث لى حدث قبل أن أغير وصيتى هذه ، فيوصى بما بدا له .

بهذه الوصية نختتم ما عرضنا ، من وصايا للصحابة والصالحين وهى ضمن ما تضمنه كتاب «وصايا العلماء عند حضور الموت » للحافظ أبى سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن زبر الربعى (١).

---

(١) طبعة دار بن كثير دمشق - بيروت تحقيق صلاح محمد الخيمى مراجعة الشيخ عبد القادر الأرناؤوط.

تنويه

قام القائمون على أمر دار الصحابة للتراث بطنطا بإعداد الوصية الشرعية متضمنة ما يوصى به الإنسان أهله من موروثات النبوة ، ومشيرة الى المحاذير التى يجب الا يقع فيها الناس عند الموت وعند الجنائز ونحوه .. وهى طبعة قيمة ولمن أراد المزيد مراجعة الدار.

انتهينا بفضل الله وحوله من إعداد هذا الكتاب مع

ارتفاع آذان مغرب اليوم ١٤١٣ هـ

الخامس والعشرين من مايو ١٩٩٣ م

ولله الحمد والمنة

أبو يسر الرحمن

محمد عبد العظيم عطية لماضة)

رقم الإيداع ٣٩ / ١٠ / ٩٣

I. S. B. N
977 - 272 - 169 - 4